صلاة
الممسوس

info@darak-egy.com
02 24832669-010 27251915
51 ب شارع النزهة – من امتداد رمسيس – القاهرة.
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر.

صلاة الممسوس
اسم المؤلف: حسن الجندي
تصميم الغلاف: أسامة علام
تدقيق لغوي: سارة صلاح
رقم الإيداع: 2020/20259
الترقيم الدولي: 978-977-6634-45-9
الطبعة الأولى: 2021

حسن الجندي

صلاة الممسوس

رواية

دارك
للنشر والتوزيع

إهداء

إلى ذلك الفتى الباكي الذي تركه معلِّمه وحيدًا في القبر ليلًا، حاولتَ التخلُّص من خوفك مما يحيط بك.. ونسيتَ أن تخاف ممَّا بداخلك.

قال أبو إسحاق الزجاج: الأَصلُ في الصلاةِ اللُّزوم، فيقال: قد صَلِيَ واصْطَلَى إذا لَزِمَ، ومن هذا مَنْ يُصْلَى في النار أَي يُلْزَم النارَ

معجم لسان العرب لإبن منظور

الفصل الأول

صلاة الخائف

(1)

..2002

برغم استغراقه في النوم إلا أنه استيقظ فجأة فاتحًا عينيه ليفاجأ بظلام الغرفة الدامس، وبرغم أن سنوات عمره لم تتخطَّ السادسة إلا أنه تعوَّد على هذا الظلام الذي برغم رعبه الشديد منه إلا أن أمه علمته أن يتعامل معه باحترافية شديدة.

كل ما عليه أن يغلق عينيه ثانية ويعتمد على حاسة اللمس ليتحسس الموجودات حتى يصل إليها، ثم يوقظها برفق لتنهض هي وتتولى كل شيء، ستحتضنه وتربت على شعره المنكوش برفق وهي تسأله عما يتمنى، وفي الأغلب سيطلب منها أن تتحدث معه.

تأخذه إلى صالة استقبال الشقة ليجلسا تحت ضوء المصباح الأبيض القوي الذي سيبدد خوفه، ويتحدثا في أشياء لا قيمة لها وهي تحاول مجاراته بعيونها نصف المفتوحة من أثر النوم حتى يغلبه النعاس فتحمله مرة ثانية إلى الفراش.

على كل حال قد تعودت هي على استيقاظه المتكرر كل

ليلة وبدأت تقتنع أن ابنها (عبد الرحمن) _ أو كما تناديه هي (بودي) _ يكرة النوم ليلًا لسببٍ ما، ربما ورث تلك العادة من شخص ما، لكنها تتوقع أن تلازمه بقية عمره.. أما (بودي) فلم يحمل هَمّ استيقاظه في الظلام لأنه سيطبق الخطة التي يعرفها، يحرك يديه.. يصطدم بوجه أمه النائمة بجواره.. تنهض هي لتنير مصباح الغرفة.. ثم نصف ساعة من الحديث خارج غرفة النوم، وربما طاوعته في بعض الليالي وسمحت له بأن يفتح التلفزيون ليشاهده قليلًا وهو يريح رأسه على فخذها وهي تمسح رأسه بيديها حتى يعاوده النعاس رويدًا رويدًا.

لكن تلك الخطة غير قابلة للتحقيق الآن، فأمُّه لم يرها منذ أيام، والده _الذي كان يراه سابقًا يومًا واحدًا في الأسبوع_ أتى لمدرسته وأخذه لمنزل أحد أقربائهم وهو يخبره بأن أمه سافرت فجأة، هو طفل فعلًا لكنه ليس متخلفًا عقليًا، فقد كان يعلم أن هناك شيئًا سيئًا حدث لأمه، احمرار عين والده وتهدُّج صوته والحزن البادي على وجهه لخصوا الكثير، لدرجة أن (عبد الرحمن) وضع احتمالَ موتها في مخيلته، لكنه بعقله الطفولي رجح أن هذا الاحتمال غير ممكن الحدوث فالأمهات لا يمتن.. هذه قاعدة مفهومة ولم يرَ من قبل ما يكسرها، لم يسأل والده واكتفى بهز رأسه اهتزازات غير ذات معنى ثم جلس في منزل أقاربه صامتًا حتى عاد والده في اليوم التالي ليأخذه لشقته الأولى ويقيم معه في نفس الشقة.

(عبد الرحمن) كان يدرك أن أمه ووالده قد تطلقا منذ عام، وقد عاش والده بعيدًا عنهما طوال تلك الفترة، لكنه الآن هو المسؤول عنه بدلًا من والدته، وعلى ما يظهر أن والده يخاف تلك المسؤولية ويعامل (عبد الرحمن) بنوع من الحذر والشفقة والخوف والعصبية، لدرجة أنه لم ينم بجانبه وفضَّل أن يتركه وحيدًا في الفراش كي يصير رجلًا بطريقة أسرع، أو لربما خاف أن يظهر حنانه كي لا يفسده.

لم يبقَ في عقل (بودي) إلا الخطة البديلة، وهي أن يهبط من الفراش المرتفع عن الأرض في وسط الظلام، يمشي حافيًا مغمض العينين فاردًا ذراعيه أمامه كي لا يصطدم بشيءٍ، يتخبط قليلًا حتى يصل إلى باب الغرفة المغلَق، يفتحه ببطءٍ ومعه يفتح عينيه متوقعًا أن يظهر شيء مخيف يقفز أمامه فجأة.. جميل لا شيء أمامه وها هو الضوء الآتي من صالة استقبال الشقة يلقي بخيوط الضوء داخل ممر الغرف.. نجحت الخطة وانتصر على الظلام بلا أي مساعدات من أمه، تذكَّرَها وشعر بافتقاده لها، ولكنه طمأن عقله بأنها ستظهر ثانية.

أطلَّ برأسه من داخل غرفة النوم يحرك عينيه في الممر كنوع من الحذر، ثم أخرج جسده وهو يحسب احتمالات استيقاظ والده من عدمه، تقدم لصالة الاستقبال وضوءها الساطع وهو يجلس على طرف الأريكة القديمة ويضع

قدميه من تحته كجلسة مريحة، اشتم الهواء في الصالة محاولًا تحديد مصدر تلك الرائحة الغريبة عليه والتي يشتمها في أحيانٍ كثيرة في هذا الموضع بالذات بعد اختفاء أمه.. رائحة ليست بالسيئة ولا بالجيدة، بعد سنوات طويلة سيشتمها ثانية عندما يقترب من موضع غسل جثة أحد أقاربه وتحضيرها للدفن، وسيشتم تلك الرائحة العطرية النفاذة الآتية من خلطة روائح تستخدم كثيرًا لتعطير الجثث، وسيتذكر كيف كانت تلك الرائحة تتسلل لأنفه في شقته وسيربطها دائمًا باختفاء أمه.

فتح التلفزيون الصغير الموضوع على منضدة صغيرة بجانب الأريكة، وقلب القنوات حتى وصل إلى قنوات كابل القمر الصناعي، مصاريف شراء طبق وجهاز استقبال الأقمار الصناعية خارج ميزانية عائلته لذلك فقد اكتفوا بوصلة سلكية تتيح لهم بضع قنوات متنوعة عشوائية لا تتخط الـ 10 قنوات، وفي بعض الأحيان 15 قناة على هوى صاحب مزود تلك الخدمة لهم.. طبعًا اشتراك شهري بـ 30 جنيه في هذا الوقت لم يكن كبيرًا لكنه ليس هينًا بالنسبة لأسرته، ذلك المبلغ كان عادلًا في حصولهم على بعض تلك القنوات من (حمادة دش) ذلك الشاب الطموح الذي قام بذلك المشروع غير القانوني في شارعهم.. لو تغاضينا عن أن نصف تلك القنوات لم تكن تظهر بشكل واضح وتصدر أصواتًا مخيفة بدلًا من أصوات المذيعين والممثلين فسنشعر بالخدمة

العادلة مقابل تلك القنوات، والحقيقة أن كلَّ تلك القنوات لا تهم (بودي) أكثر من قناة (سبيس تون) وكواكبها التي ظهرت منذ عام ونصف، طبعًا بدافع الفضول كان يذهب (بودي) لبعض قنوات الأفلام الأجنبية يتابعها بنصف فهم لأنه لا يستطيع قراءة الترجمة العربية التي تعرض أسفل الشاشة بنفس سرعة ظهورها، لكنه لم يحبها على كل حال.

أما الآن فهو يستخدم التلفزيون كمصدر للصور فقط بلا صوتٍ كي لا يستيقظ والده، وحتى القناة المعروضة نفسها ليست بتلك الأهمية لأنه يستقي من التلفزيون الأمانَ والتسلية في وسط كل هذا الصمت والوحدة التي يشعر بها.. كم مرَّ من الوقت؟ لا يعلم سوى أنه بدأ يشعر بالنعاس ثانيةً لكنه قاوم وهو يخبر نفسه عن غضب والده لو استيقظ ووجده نائمًا أمام تلفزيون مفتوح، عليه أن يغلقه قبل نومه، لكنه لن يعود لغرفة نومه الليلة وسينام على تلك الأريكة في ذلك الضوء المريح.

شغل عقله بكل تلك الأفكار وهو يتابع بعينيه مذيعة شقراء مصابة بالبلاهة وتضحك بلا توقف وهي تخاطب ممثلًا مغمورًا، كاد أن يغلق التلفزيون لكن جاءه ذلك ا لصو ت .

صوت وقع أقدام ثابتة تصعد سلم العمارة، ما سيفعله الآن فعلَهُ كثيرًا حتى إن والدته كانت تراقبه بابتسامة ساخرة

قديمًا وهو ينهض ويحضر مقعدًا خشبيًا مهمَلًا ليضعه بجانب الباب بحرص.. توقف وهو ينظر لمصباح الإضاءة في السقف والذي تراقص ضوءه بضع مرات!!.. التلفزيون هو الآخر تعرَّض لنوع من التشويش وتراقصت صورة المذيعة البلهاء واختفت ثم ظهرت بوضوح.

صوت الخطوات يعلو ويقترب من طابق (بودي) الذي تغلب فضوله على دهشته، وبدأ في محاولة الصعود على المقعد الذي اهتز قليلًا لكن (بودي) استطاع بخبرته أن يوازن جسده الصغير ليصعد عليه والخشب القديم يصدر أنينيًا مكتومًا عندما وقف (بودي) عليه بكامل جسده ثم نظر في العين السحرية للباب التي تتيح له رؤية غير واضحة لما يحدث بالخارج.

أول ما لفت نظره أنه رأى كل شيء بوضوح، وشاهد باب الشقة المقابلة لهم في ضوء مصباح السلم، المفترض أن الضوء مطفأ في هذا الوقت، من يصعد الآن استخدم زِر الإضاءة في أسفل العمارة لتضاء كل طوابق العمارة، إذًا فهو من السكان لأن الزر شِبه مخبأ في مدخل العمارة.

فرك عينه اليمنى قليلًا ليحسن رؤيته في انتظار صعود صاحب الخطوات.. ها هو رأسه يظهر صاعدًا السلم ثم كتفيه ثم بقية جسده، لم يتعرف عليه جيدًا لكنه قدَّر أنه ليس (عمو) أو (أنكل) كبير السن بل هو مراهق أو شاب غير مكتمل الرجولة سيناديه باسمه بلا ألقاب لو كان يعرفه.